صفات وطبائع الخيل

أ.سند بن مطلق السبيعي

تعايش العرب مع الخيل لفترة طويلة، مما قاد إلى اكتشاف أن الله ـ عز وجل ـ قد أودع فيها الفطنة والذكاء والطباع الحميدة، ووهب لها من الغرائز والعواطف ما يشبه غرائز الإنسان وعواطفه، مما جعلها يألف بعضها بعضاً، فيصبح كل منهما رفيق درب الآخر على مدى الزمن، وقد اتصفت الخيل بصفات وطبائع جعلتها تتفوق على كثير من الحيوانات التي استأنسها الإنسان.

يتناول هذا المقال صفات وسلوكيات الخيول، وذلك كما يلي:-

صفات الخيل

تمتاز الخيول بصفات جيدة تميزها عن الأجناس الخيلية الأخرى مثل البغال والحمير، ويعد الجواد العربي الأصيل الأكثر جمالاً، وأصالة، حيث يختلف عن بقية سلالات الخيل الأخرى من حيث التكوين الجسماني والذهني، وهو علَم مشهور في سائر أنحاء المعمورة،وله مساهمة كبيرة في تحسين سلالات أخرى مختلفة من الجياد. ومن أهم صفاته ما يلي:

‹ الذكاء وقوة الذاكرة

يتمتع الجواد ـ خاصةً العربي ـ بذكاء متميز حيث يتعود على صوت صاحبه ويألف رائحته وشكله، فيعرفه عند رؤيته ووصوله إليه، لذا نرى معظم أصحاب الخيل يتقدمون منها ويخاطبونها ويدعونها إلى اللحاق بهم أو إلى الطعام والشراب فتلحق بهم طائعة مختارة.

ويشير **و.ر.براون** إلى "أن الجواد العربي من أذكى الخيول على الإطلاق"، ومن الشواهد على ذكاء الجواد أنه يعرف وقع قدمي صاحبه دون أن يراه، أما إذا فاجأه في الليل وهو نائم ولم يسمع صوته، فإنه يهب مذعوراً ليدافع عن نفسه، فإذا عرف أنه صاحبه تغير حاله،وأخذ موقف الخجل والاستحياء وأخفض رأسه بعد صولته وإظهار العداء. و تقول **الليدي آن بلنت** عن طباع الحصان العربي أنه: "يدرك فوراً طبيعة الشخص المقترب منه، فلا يسلس قياده إلا لمن يعرف شؤونه وخصاله ومزاياه، فيتصادق معه ويطيع أوامره".

كما يتمتع الجواد العربي بذاكرة حادة، وخاصة للأماكن التي يمر فيها أو الأشخاص الذين يتعاملون معه،أما في المعارك فإنه يتذكر الجهة التي أتى منها حتى لو أصيب بجروح بالغة، وإذا انطلق بعيداً عن مربطه فهو لا يخطئ طريق عودته إلى مربطه مهما بعدت المسافة عنه، إضافة إلى أنه يفهم الإشارات الصادرة من فارسه ويتجاوب معها. لذا فإن ذاكرته القوية وسعة صدره ووداعته تجعله من أجدر المخلوقات وأنسبها لخدمة الإنسان، كما أن قدرته على القيام بوظائف ذهنية مختلفة ترفعه إلى مرتبة الصديق الذي يستحق كل الاهتمام والعناية.

ومن القصص في هذا المجال قصة **عباس باشا الأول** ـ خديوي مصر ـ عندما أوفد **علي باشا** إلى الجزيرة العربية ليشتري له خيلاً عربية، فاشترى له عدداً من الخيل وكان من بينها واحدة بيعت وصاحبها في الحج، فلما عاد وسأل عنها أخبروه أنها بيعت **لعباس باشا**، فرفض البيع وذهب إلى مصر لاسترجاعها، ودخل على **عباس باشا** وطلب فرسه، وكان يحمل نقودها، وقد مضى على شرائها ثمانية أشهر، فقال له **عباس**: إننا لا نعرف فرسك لأننا اشترينا خيلاً كثيرة، فقال: هي التي ستعرفني، وإن لم تعرفني فلا فرس لي عندكم. فوافقوه على ذلك وأخرجوا الخيل جميعاً فوقف صاحب الفرس على ربوة مرتفعة وأخذ ينادي فرسه باسمها، فرفعت الفرس رأسها وحركت أذنيها لتمييز الصوت، فلما عرفت صوته انطلقت تعدو إليه وأخذت تتمسح بيديه وخديه فقبلها وبكى من حرارة اللقاء وشدة الوفاء، فتأثر **عباس باشا** وأعطاه فرسه وثمنها، وطلب منه أن يعدهم بمهرة من نسلها.

‹ قوة التحمل

تذكر **الليدي آن بلنت** أن الجواد العربي الأصيل يمتاز بقدرته على تحمل المتاعب والمشقات،ومع ذلك لا يفقد شجاعته وحماسته، بل يبقى دائما على أتم الاستعداد للركض، مما يمكن فارسه من ركوبه يوما بعد يوم خلال المهمات أو الرحلات الطويله، وهذا أمر لم يعهد في الخيل البريطانية ولا يمكن مطالبتها به في أي وقت من الأوقات.

‹ الشجاعة

تمتاز الخيل بالشجاعة ، وقد ساعدت الحياة القاسية التي عاشها العرب في

صحرائهم، وحروبهم، وغزواتهم من يكتسب الجواد العربي الأصيل شجاعة نادرة أصبحت عبر القرون مضرب مثل وجزءا لا يتجزأ من خصاله الحميدة. وفي ذلك يقول **براون** : " يتميز الجواد العربي الأصيل عن باقي أنواع الخيل بشجاعته المنقطعة النظير، فهو لا يخشى حتى من الأسد والنمر، بل إنه يستخدم في الهند لصيد هذه الحيوانات المتوحشة " .

كما يشير **النصيح** إلى شجاعة الخيل فيقول: "الخيل من أشجع الحيوانات وأنسبها لخوض الحرب، وشجاعتها نادرة، تشهد الضرب والقتل والدماء، وتخرج من أرض المعركة، وتعود في صبيحة اليوم الثاني وهي أكثر نشاطاً لنفس المكان الذي باتت عليه دماء وأطراف الآدميين " .

ويربط **كامل سلامة** شجاعة الخيل العربية بشجاعة العربي فيقول : " ولئن كانت الشجاعة من سجايا العرب التي عرفوا بها، فهي أيضاً صفة ملازمة للخيل العربية، فهي تثبت في الحرب، ولا تتألم مهما جرحت،لأنها عريقة النسب أصيلة، معودة الإقدام والكر على الأعداء " .

السرعة

تمتاز الخيل بسرعة الجري، وقوة الجسم، وشدة الكر عند الإقدام، والفر عند الإحجام؛ لذا تشترك مع فرسانها في قتل الأعداء فتدوس جماجم القتلى والجرحى وتفرسهم فرساً بسنابكها القوية،وتنزع الجماجم من رؤوس أصحابها ، وتصبر على آلام الحرب ووطأتها، وتحتمل تكسر السهام في صدورها، ولا تجفل ولا تهرب من أرض المعركة مهما نالها من ضرب وطعن.

الوفاء

تعد الخيل العربية الأصيلة أكثر وفاءً لأصحابها، وخاصة الذين يقومون على تربيتها وتدريبها بأنفسهم، فتقبل عليهم إذا نادوها، ومن ذلك أنها تظل يقظة منتبهة لكل حركة، حتى اذا رأت شيئا غريبا فإنها تضرب الأرض بحافرها لتنبيه صاحبها. كما أن الجواد العربي لا يفارق فارسه إذا سقط عنه، بل يظل إلى جانبه يحرسه ويحاول إيقاظه وإنهاضه. وفي هذا الخصوص يروي الدكتور **خوري** عن الخيل وفرسانها: " شاهدت فرساً لأعرابي كان يتركها مطلقة وينام، فتأخذ بالدوران حوله وتحميه كحارس أمين، ولما كان البعض يجرب أن يدنو منه تهجم عليه بكل حدة. . .وشاهدت فرساً أخرى تجثو على يديها عندما يكلمها فارسها بهذه العبارة:اخ،اخ " .

ومن وفاءِ الجواد العربي لصاحبه أنه يحمله من مكان المعركة ويأتي به إلى منزله حتى لو كان بعيداً جداً عنها. وفي بعض الأحيان يحمل صاحبه المقتول إلى منزله، وكثيراً ما يُعرف أن صاحب الفرس قد قُتِل في المعركة إذا عاد الفرس بدون صاحبه، لأنه من المستحيل أن يترك الفرس صاحبه. وهذه الصفة توجد في الخيل العربية الأصيلة فقط، وغير معروفة في باقي الخيل.

تناسق الأعضاء

تتميز الخيل العربية الاصيلة بتكامل هيكلها، وتناسق أعضائها، واتزان قوامها، إنها باختصار،خلاصة كل المحاسن والفضائل، فهي تمتاز برأسها الصغير وعنقها المقوس، وظهرها المستقيم، وذيلها المرفوع المموج، وحوافرها الصلبة الصغيرة، وشعرها الناعم، ومفاصلها المتينة، وصدرها المتسع، وقوائمها الدقيقة الجميلة.وهي قوية جداً وسريعة، وتلوح على وجوهها علامات الجد. ومما روي عن **عمر بن الخطاب** ـ رضي الله عنه ـ أنه عرض بعض الخيل على **سليمان بن ربيعة الباهلي** لتمييزها، فأحضر إناءا به ماء، ووضعه على الأرض، ثم قدمت الخيل تشرب فرساً فرساً، فما ثنى منها سنبكه هجنه، وما لم يثنه عربه. وعلل ذلك بأن في أعناق الهجن من الخيل قصراً لا تنال معه الماء إلا على تلك الحال، بينما أعناق الخيل الأصيل طوال.

سعة الصدر

تتمتع الخيل العربية الأصيلة بجهاز تنفس ممتاز، بفضل سعة القصبة الهوائية وضخامة القفص الصدري ، مما يساعدها على إدخال كمية كبيرة من الأكسجين للرئتين دفعة واحدة. كما أن كمية خضاب الدم(الهيموجلوبين)الموجودة في لتر واحد من الدم عند الخيل العربية الأصيلة تفوق الكمية الموجودة عند باقي الخيل الأخرى، مما يعني أن الدم قادر على نقل كمية أكبر من الأكسجين لعضلات جسم الحصان وباقي أعضائه، مما يساعده على تحمل المشاق والفوز بالسباقات الطويلة التي تتطلب سرعة كبيرة.

صغر الحجم

تتناسب قدرة الخيل العربية الأصيلة على تحمل المتاعب والمشاق

مع صغر حجمها، فكلما كان حجمها صغيراً زادت قوة تحملها وصمودها أمام المصاعب. ومما يساعد على صغر حجمها كمية المياه الضئيلة في أنسجة أجسامها، وتقليص أحجامها إلى أدنى حد، فلا يوجد لديها ما يزيد في أوزانها أو أحجامها بغير موجب. كما أن تقليص الحجم بأكمله ليس بسبب العوامل الجغرافية وحسب، بل أنه ناتج أيضاً عن التغذية التي يقدمها الإنسان إليها.

سلوكيات الخيل

تشبه الخيل في سلوكها الإنسان في بعض سماته العامة، فهي تتأثر بعوامل كثيرة يرجع بعضها إلى المراحل الأولى من عمرها، فالكيفية التي يتم بها التعامل مع الجواد وهو في شهوره الأولى من العمر تؤثر إلى حد كبير في تشكيل سلوكه، فإذا ما عومل برفق وألفة كان سلوكه معتدلا في المستقبل، أما إذا ما واجه قسوة وعنفا من قبل صاحبه فإن ذلك يمثل مخزونا سيئا لديه.

ولا شك في أن صاحب الجواد هو أكثر الناس احتكاكا به، وله الدور المباشر في تشكيل سلوكه وتهذيبه. ولضمان ذلك لابد له من التعامل معه باحترام ورفق وأن يطلب من كافة أصدقائه وزواره أن يعاملوه بنفس القدر من الاحترام والرفق.

الألفة

تألف الخيل الإنسان ولا تخاف منه، وتسمح لأي شخص تعرفه بالدنو منها وهي تأكل، وقد يمسك الإنسان برأسها ولا تخاف، وإذا ما صادفها مستلقية على الأرض فإنها لن تتحرك حتى وإن اقترب منها كثيراً، ولا يمكن أن تخاف عندما يمسح عليها بيده؛ لأنها تدرك بأن الإنسان لا يمكنه إيذاءها.

الزهو والخيلاء

تعرف الخيل بأنها من أقرب الحيوانات الى مزاج الانسان، لاتصافها بالأخلاق الدالة على شرفها من عزة نفس وعلو الهمة، فمن علو همتها أنها لا تأكل بقية علف غيرها. يقول **الجاحظ** في كتابه الحيوان: "أن الفرس من طبعه الزهو في المشي وهو يعرف سائسه ويعجبه راكبه وهو أيضاً غيور ويعرف المصيبة".

الخوف

يدل إرجاع الخيل رأسها فجأة إلى الخلف على الخوف أو كرد فعل للأخطار، وفي بعض الأحيان تعبر عن ذلك بنظرات خاصة وصهيل، خصوصًا عندما يشتد عليهاالألم، أو عند ملامستها الخطر مباشرة، وقد تظهر الأمهار نفس هذا السلوك، وعندما يخاف الجواد العربي فإن هذا الخوف ينتقل إلى الجواد الذي يليه حتى يعم بقية الخيل.

يصف **حرملة بن المنذر** لأمير المؤمنين **عثمان بن عفان** ـ رضي الله عنه ـ خوف الخيل من الأسد فقال: "إذا أصر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، والله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحد فواحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الإبل وتقهقرت البغال، فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله، فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع".

العدوانية

تفزع الجياد غالباً من الصوت المفاجئ، أو الحركة المباغتة، ولكنه سرعان ما يهدأ إذا وجدت من يلاطفها ويداعبها ويعطف عليها، لذلك يجب لمن أراد الاقتراب منها أو الدخول عليها في الإسطبل أن يتكلم من بعيد لتسمع صوته وتنتبه إلى قدومه، حتى لا تفزع فجأة، وتقوم بحركة ركل أو عض مباغتة.

يجب الحذر من عض الجواد، حيث تتحول المداعبة الكثيرة له من القائمين على تربيته إلى عض الأشخاص الغرباء عند اقترابهم منه. وهناك علامات مميزة لمعرفة تهيؤ الجواد للعض، هي رجوع الأذنين للخلف وظهور بياض العين مع الضغط على الأسنان، ويحدث ذلك نتيجة لقلة ترويضها، وتعالج هذه الظاهرة بتثبيت مانعة العض.

المشاجرة

تتشاجر الذكور الأكبر سناً من الخيل مع الأمهار الأصغر على سبيل المداعبة، وتخف هذه المداعبة أثناء فصل الشتاء لتزداد من جديد عندماتشتد الحرارة في الصيف. كما تتحدى الخيل بعضها البعض أو تحرض بعضها على الاعتداء على جيرانها من الخيل الأخرى،و يجري هذا القتال بين الخيل حرة الرعي التي ليست من مجموعة واحدة كدلالة على مرونة الحركة، ولا يكون في هذا القتال غالب أو مغلوب لأنه مجرد تحدٍ عادي.

الأمراض النفسية

يوجد من الخيل ما يحب السير بعيداً

عن الخيل الأخرى، ويبقى منعزلاً، ومنها ما يسير في مؤخرة الخيل الأخرى أو في وسطها، وهكذا فالخيل كالإنسان منها ما يضطرب نفسيا نتيجة حوادث سلوكية معينة من صاحبها.

ظاهرة الندب

قد تصاب الخيل بظاهرة تسمى(الندب)، وهي تحريك الرأس إلى الأسفل والأعلى باستمرار أو الحركة الجانبية المستمرة للرأس، مما يؤدي إلى ضعف الحصان وهزاله وقلة شهيته للأكل. ولعلاج هذه الحالة يربط رأس الجواد عالياً لمنع حركته، ويستحسن عزله، لأنها عادة سريعة الانتشار بين الخيل.

شفط الهواء

تصاب الخيل بظاهرة شفط الهواء، وفي هذه الحالة يجب استعمال مانعة شفط الهواء، بالإضافة إلى ترويض الحصان بانتظام وتقديم الغذاء المناسب والمتزن له.

النوم والاسترخاء

تتميز الخيل بقدرتها على الاسترخاء والراحة وهي واقفة، لأن الله حباها بجهاز الإسناد (Stay apparatus)، وهو الجهاز الذي يستطيع الخيل بواسطته الوقوف لفترات طويلة مستنداً على أوتار العضلات، وبعض الأربطة التي تساعده على النوم واقفا دون الاستناد على العضلات.

الإحساس بالخطر

تتمتع الخيل بالحس المرهف والإحساس بأعدائها من قبل أن تراهم، ومن ذلك ما ذكر أثناء الحرب العالمية الثانية من قدرتها على التفريق بين طائرات أصحابها والطائرات المعادية. فقد لوحظ أن الخيل تتوقف عن الأكل عند مرور طائرات العدو، كما تقف عن السير أو تسلك طريقا أكثر وعورة للتخفي

من الطائرات المعادية، بينما لا تفعل ذلك في حالة مرور طائرات أصحابها.

وعندما يكتشف الحصان جسماً جديداً في بيئته فإنه يستجيب بكافة حواسه، فيرفع رأسه ثم يرتد عنه إذا كان صلدا أو غير قابل للاختراق، فيمد الرأس والعنق للأمام، وتتيقظ العينان، وينتصب الذيل قليلاً، بينما تقف الأطراف على أهبة الاستعداد للحركة في أية لحظة. وإذا كان مصدر الخطر ثابتاً فإن الخيل هو الذي يتقدم نحوه مع بقية أفراد الخيل، ومع ازدياد الخطر تزفر الخيل بقوة من مناخرها وتضرب الأرض بحوافرها وتقفز أمام مصدر الخطر. وقد لوحظ أن الحصان القائد هو الذي يقود المجموعة في هذه العملية. وعندما يبتعد الحصان القائد عن مصدر الخطر تتبعه بقية المجموعة وتتناسب مسافة الهرب طردياً مع حجم الخطر، وغالباً ما يقوم الحصان القائد بحركة إلى الأمام أو إلى الخلف، بينما تلجأ الأمهار إلى أمهاتها طلباً للحماية.

الدفاع عن النفس

تقوم الخيل بالدفاع عن نفسها بعدة طرق منها العض والرفس، وعندما تحس بالخطر وتتهيأ للدفاع عن نفسها فإن آذانها تتدلى، وتبدأ بعض الجسم الغريب برفق، وفي بعض الحالات التي يشتد فيها الخطر يعض الحصان بشراسة، ويستدل على نية العض من نظراتها، كما يستدل على نية الرفس لديها من تدلي الأذن للخلف وتحرك الأطراف الخلفية بقوة نحو الخصم.

المراجع

١- **إدوارد ، الوين هارتلي** (١٩٩٨م) الموسوعة الشاملة لأشهر سلالات الخيول - المجمع الثقافي - أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة.

٢- **بلنت، آن** (١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م) رحلة إلب بلاد نجد - ترجمة غالب ، محمد أنعم - دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية.

٣- **الدقس ، كامل سلامة** (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) وصف الخيول في الشعر الجاهلي - دار الكتب الثقافية - الكويت.

٤- **الدميري، كمال الدين محمد** (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) حياة الحيوان الكبرى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٥- **السبيعي ، سند مطلق** (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) الخيل معقود في نواصيها الخير - مكتبة العبيكان - الرياض - السعودية.

٦- **عطا ، نبيه محمد** (١٩٨٦م) الخيول العربية التربية والأمراض، جامعة الموصل، العراق.

٧- **عقل، خالد محمد** (١٤١٨هـ - ١٤١٩هـ) كيف تتعلم ركوب الخيل - كلية الملك عبدالعزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية.

٨- **غلوب ،قبلان** (١٩٨٩م) الحصان العربي الأصيل ، دار جروس برس، طرابلس - لبنان.

٩- **الفارس ، أسعد** (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) الخيل العربية في مذكرات السياح والرحالة، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج،الشامية، الكويت.

١٠- **كمال ، خالد بكر** (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) الخيول العربية - مكتبة دار الثقافة العالمية - جدة - المملكة العربية السعودية.

١١- **النصيح ، حسن محمد** (١٤١٧هـ) الخيل في أشعار العرب ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٢- **يزبك ، يوسف ابراهيم** (١٩٨١م) الجواد العربي - الناشرون العرب - باريس - فرنسا.